

## دور التعليم في تنمية السلام الاجتماعي وترقيته

أسماء حسين محمد آدم

كلية العلوم الاجتماعية والاقتصادية - جامعة بحري

### مقدمة:

تقف الحكومات، في ظل التغيرات العميقة التي يشهدها عالم اليوم، عاجزة عن فرض السلام الاجتماعي بدون اللجوء إلى مساعدة العديد من المؤسسات الاجتماعية وعلى رأسها المؤسسة التعليمية. إن عملية تأهيل الطلاب فكرياً وعلمياً، ليس هو المخرج الوحيد للعملية التعليمية، بل هناك مخرج أهم لكن قليلاً ما يتم الانتباه إليه، وهو تشكيل السلوك والأخلاق العامة. وعلى الرغم من أن هذا المخرج هو ناتج لعملية معقدة يشترك فيها عدد هائل من العوامل، إلا أن التعليم ظل وسيظل اللاعب الأهم والعامل الأكثر حسماً. ذلك لأن البيئة الدراسية والمناهج التعليمية وأساليب تقديم المادة العلمية، والعلاقة التي تربط الأستاذ والطالب والطلاب بعضهم ببعض، كلها تلعب دوراً عظيماً في تشكيل رؤي الدارسين في طرق حل المشكلات التي تواجههم وفي اختيار تفضيلاتهم وقيمهم وتكوين شخصياتهم.

نحاول في هذه الورقة شرح مفهوم السلام الاجتماعي والعلاقة بينه وبين التعليم والكيفية التي يمكن من خلالها استخدام التعليم كآلية مسهمة في بناء السلام الاجتماعي، مع الإشارة إلى الحالة السودانية ما أمكن.

### مفهوم السلام الاجتماعي

تلعب العديد من العوامل، كالفقر وارتفاع نسب البطالة وانتشار الحروب الأهلية والتفاوت الطبقي الحاد وغياب العدالة الاجتماعية والنزاعات العرقية وسيادة مبدأ "القوة فوق القانون" وغيرها من العوامل الأخرى، على تفكيك التلاحم بين البنى الاجتماعية وتهديد السلام الاجتماعي. في مثل هذه الأحوال يصبح النزوع إلى استخدام العنف لحل الصراع بمثابة الحل الأسرع والأجدي، ومن ثم تنتشر ثقافة العنف.

قد تنتشر ثقافة العنف بشكل يؤدي إلى تحطيم متعمد للبنية الاجتماعية. يحدث ذلك عندما تتعمد فئة من الناس الربح من العنف فيما يطلق عليه بظاهرة "أسواق العنف". في ظل هذه الظاهرة، التي تفسر استمرار العديد من الحروب الأهلية في عدد من الدول النامية، تصبح إدارة العنف سلوكاً اقتصادياً مربحاً، فينهار بذلك النسيج الاجتماعي وتتهتك الروابط الطبيعية بين أفراد المجتمع لتحل بدلا عنها روابط نفعية وقهرية، تعمل بدورها على استمرار العنف والدائرة الصراعية.<sup>1</sup>

يمكن تعريف العنف بأنه أي سلوك ظاهري أو رمزي يعمل على إنتهاك حق الانسان في العيش

<sup>1</sup> للمزيد عن أسواق العنف انظر : أسماء حسين محمد آدم، "أسواق العنف: إطار تحليلي للصراعات السياسية المعاصرة: الكونغو الديمقراطية أنموذجاً"، دراسات إفريقية، ع 44، ديسمبر 2010، ص. 143-168.

بكرامة وإستقلالية.\* لذا فإن مفهوم السلام الإجتماعي مرتبط بحقوق الإنسان ولا يمكن أن يتحقق إلا لو أصبح "السلام لا يعني هزيمة طرف وانتصار طرف آخر..(بل) يعني فقط... بديل العنف والصراع التدميرى"<sup>1</sup>

بهذا الفهم فإن السلام الإجتماعي عبارة عن جملة من المبادئ والقيم والسلوك والأفكار التي تهدف إلي تحقيق مبدأ حسن التعايش مع الآخر، نبذ العنف، تفضيل اللجوء إلي وسائل سلمية وقانونية لحل النزاع، الإحساس القوي بالانتماء إلى لُحمة المجتمع وعصبته بشكل يصبح فيه من العسير القيام بسلوكيات تؤدي بشكل مباشر إلي هدم النسيج الإجتماعي أو إحداث تشوهات عميقة وجوهرية ومتعمدة فيه. إن السلام الإجتماعي هو نقيض العنف الإجتماعي ، لكن ذلك لا يعني إنتفاء العنف بصفة نهائية عن مجتمع ما، والا فسيقودنا ذلك إلي فخ من المثالية ولن نستطيع تحويل هذا المفهوم إلي ممارسة حقيقية وواقعية. يشمل السلام الإجتماعي ثلاثة مستويات أساسية وهي:

- مستوى العلاقة بين النخب السياسية المتنافسة على الحكم.
- مستوى العلاقة بين المجموعات والشرائح التي تكوّن المجتمع.

- مستوى العلاقة بين أفراد المجتمع.
- تُبرز الإدارة السياسية للمجتمعات إركان السلام الاجتماعي في أي مجتمع لتشمل:
1. الإدارة السلمية للتعددية الدينية والمذهبية واللغوية والإثنية.
  2. الاحتكام إلى القانون بغرض تحقيق المساواة والعدالة في العلاقات بين الأفراد والجماعات.
  3. الحكم الرشيد: فالسلام مستوى يحتاج إلى الشفافية والحكم الرشيد.
  4. حرية التعبير: باعتبارها من مستلزمات عملية بناء السلام مستوى ، حتي تتمكن كل مجموعة من التعبير عن آرائها وهمومها وطموحاتها في مناخ عقلاني يسوده الانفتاح، بحيث يمكن الاستماع إلى كل الأطراف وتقهم كل الآراء دون استبعاد أحد، بهدف الوصول إلى الأرضية المشتركة التي يلتقي عندها الجميع.
  5. العدالة الإجتماعية والتي لا تقتصر على توزيع الثروة بل تمتد لتشمل ما يسمى "المكانة الاجتماعية" التي تتحقق من خلال مؤشرات واضحة مثل التعليم والثقافة.
  6. إعلام المواطن: يحتاج المجتمع إلي إعلام تعددي يساعده علي ممارسة التعددية من ناحية، ويكشف الأمراض الإجتماعية

<sup>1</sup> Quoted from Wolde-Mariam (1991). Wondem Asres Degu, Reforming Education. In Gerd Junne and Willemijn Verkoren. Post Conflict Development: Meeting New Challenges. Lynne Rienner Publishers, Inc., 2005. p. 142.

\*وضع ( Galtung, 1975 ) تصنيفاً للعنف لم يكتف فيه بالشكل المادي للعنف فقط، بل تحدث عن العنف الهيكلية الذي تصنعه وتمارسه المؤسسات بشكل خفي.

والسياسية والثقافية بهدف معالجتها والنهوض  
بالمجتمع من ناحية أخرى.<sup>1</sup>

### التعليم والسلام الاجتماعي:

يرتبط مفهوم السلام الاجتماعي بشكل كبير  
بالسياسات والإتجاهات التي تتخذها الحكومات  
سواء تلك المتعلقة بإدارة الاقتصاد أو السياسة أو  
الثقافة. لذا فإن إجراء إصلاحات تعليمية بغرض  
تحقيق درجة عالية من السلام والتوافق الاجتماعي  
هي إجراءات سياسية بالدرجة الأولى. لكن من  
الخطورة بمكان أن تُجرى هذه الإصلاحات على  
المستوى السياسي البحت أو أن تُعبّر عن  
اتجاهات سياسية معينة لحزب معين أو لطرف  
سياسي دون آخر، لأن ذلك يمكن أن يولّد المزيد  
من العنف بدلاً من تحقيق الاستقرار والسلام.  
يلعب التعليم في الدول التي عانت من الحروب  
والتمزقات الأهلية العميقة، كالسودان، دوراً جوهرياً  
في تحقيق درجة عالية من التعافي الاجتماعي  
وكسر دائرة الصراع. لكن على النقيض من ذلك،  
يمكن للسياسات التعليمية توليد المزيد من  
الانشقاقات والتصدعات داخل النسيج الاجتماعي،  
فهو كالسلاح ذي الحدين وذلك لأن التعليم مرتبط  
ب:

- تشكيل الهوية والتنمية الثقافية وديمومة  
المجتمعات.
- إعادة توزيع الموارد علي مستوى الدولة.

• الوصول إلى السلطة السياسية.

• الانتماء الأيدلوجي للفرد والمجتمع.<sup>2</sup>

• التقدم الاقتصادي والمكانة الاجتماعية.

• المنافسة في سوق العمل.

### كيف يُشكّل التعليم سلوك الإنسان؟

في سياق محاولته الإجابة على السؤال: كيف  
نتعلم؟ طوّر دافيد كولب (David Kolb 1984)  
نظريته الشهيرة في التعليم والتي تقع أصولها في  
أعمال كل من جون ديوي John Dewey وكورت  
ليوين Kurt Lewin وجين بياجيت Jean  
Piaget. يعتقد كولب أن التعليم يمر بأربع مراحل  
أساسية:

- خبرة واقعية.
- ثم مشاهدة وتأمل.
- تقود إلى صياغة مفاهيم مجردة  
وتعميمات.
- تقود إلى صياغة فرضيات يمكن اختبارها  
مستقبلياً، الأمر الذي يقودنا إلى خبرات  
جديدة. ويُنظر إلى هذه الدورة على أنها  
مستمرة الحدوث.<sup>3</sup>

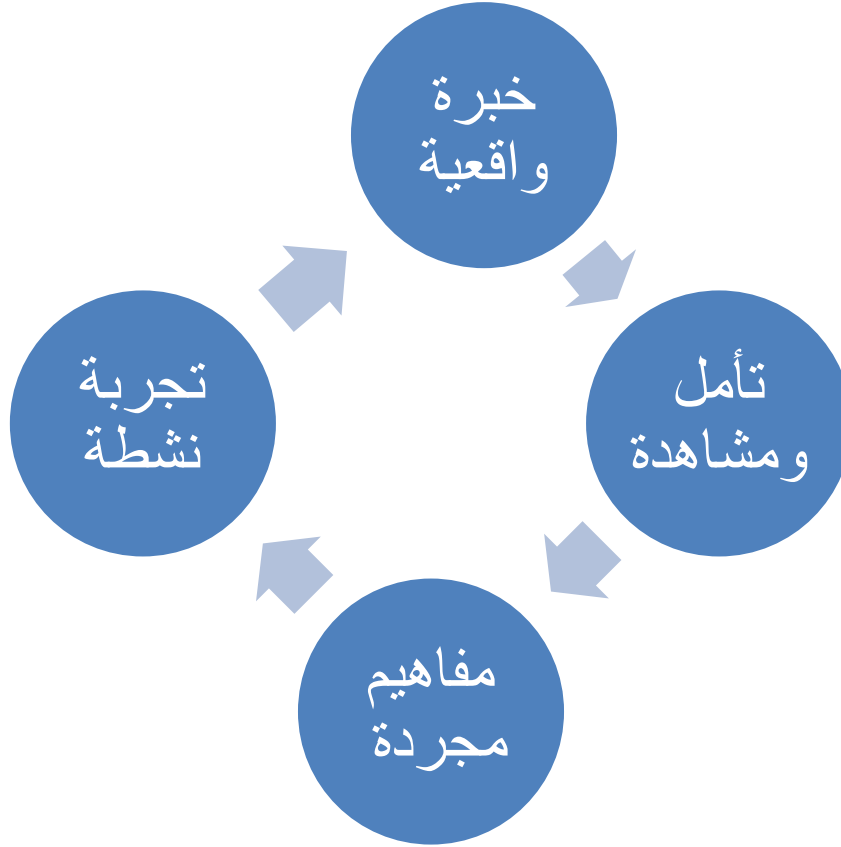
<sup>2</sup> Wondem Asres Degu. op.cit.. p. 129.

<sup>3</sup> الان وليمز، سالي وودوارد وبول دويسون، ترجمة سرور علي إبراهيم، إدارة  
التغيير بنجاح: استخدام النظرية والخبرة في تنفيذ التغيير، الرياض: دار المريخ  
للنشر، 2004، ص 40-41.

<sup>1</sup> مقتبس من (عبد العزيز التويجري، 1998) في ياسر أبو حسن أبو المنهج  
الإسلامي في ترسيخ السلام الاجتماعي: رؤية تأصيلية في التعايش السلمي من منظور  
سياسي، دراسات مجتمعية، ع8، ديسمبر 2011، ص 8-12.

### الشكل رقم (1)

دورة كولب الأساسية المبنية علي نموذج التعلم التجريبي لليوين



المصدر: الآن وليمز سالي ووداوارد وبول دوبسون، مرجع سابق ، 2004، ص 41.

وباختصار فإن التعلم عملية تغير سلوك الإنسان بفعل الخبرة.<sup>2</sup>

بتفصيل أكثر يمكننا شرح الكيفية التي يؤثر بها التعليم علي سلوكنا إذا تحدثنا عن الدور الذي يلعبه التعليم في بناء الأطر الفكرية والنماذج الإدراكية (الذهنية) لكل منا.

وفقاً لنظريته المشروحة آنفاً، يُعرّف كولب التعليم بإعتباره "عملية تنتج فيها المعرفة من خلال تحويل الخبرة".<sup>1</sup>

أما ثورندايك فيربط بين التعليم والسلوك، إذ يُعرّف التعليم بقوله: إنه سلسلة من التغيرات في سلوك الإنسان ووصف ثورب التعلم بأنه مجموعة تغيرات تكيفية تحدث لسلوك المرء وهي في محصلتها تعبير عن خبراته في التلاؤم مع البيئة.

<sup>2</sup> مصطفى ناصف، نظريات التعلم: دراسة مقارنة (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون، أكتوبر 1983)، سلسلة كتب عالم المعرفة، ع 70. ص 16.

<sup>1</sup> تعريف (كولب، 1986) في الان وليمز وآخرون، مرجع سابق، ص 41.

ينشأ الفرد منا في ثقافة محددة وُجدت بشكل مسبق على وجوده. تمثل هذه الثقافة القيم والتفضيلات والحلول المقترحة للمشاكل التي تواجه الفرد في مجتمعه، كما تُشكّل صورة الفرد لنفسه وللبيئة التي ينظر بها للآخرين: أي أنها تحدد شكل العلاقة بين الآن والآخر. ولن يستطيع الشخص بمفرده فهم العالم بكل تعقيداته فهماً دقيقاً كاملاً، لذا فهو يلجأ إلي ما يُطلق عليه "الإستراتيجية التبسيطية" التي تعني رسم خريطة مبسطة للعالم المعقد بغرض فهم وإدراك العالم بشكل يساعد على التعامل معه.<sup>1</sup>

يستعين المرء بنموذجه الذهني هذا في إدراك الواقع والتفاعل مع الآخر وإتخاذ القرارات والمقاربة بين الخبرات القديمة والخبرات المستحدثة. ويعتقد الباحثون أنه "ونظراً لأنها (أي النماذج الذهنية) ناتج لخبراتنا أو لتعلمنا، ومعظمها يحدث في البيئة الاجتماعية، فإننا نجد أن النماذج الذهنية للأفراد المنتمين إلى نفس المجموعات الاجتماعية تشترك في الكثير." <sup>2</sup> وهذا ما نطلق عليه ثقافة المجتمع.

إن هذا التشابه بين أفراد المجتمع في ثقافتهم هو ما يخلق ما يسمى بـ "العقل الجماعي"، كما أطلق

<sup>1</sup> للمزيد من الأبحاث الكلاسيكية التي تحدثت عن هذه الإستراتيجية يمكن الرجوع إلى:

Nisbett, R. and Ross, L. Human Inference: Strategies and Shortcomings of Social Judgments, Englewood cliffs, N.J: Prentice-Hall, 1980; Jervis, R. Perception and Misperceptions in International Politics. Princeton N. J.: Princeton University Press, 1976.

<sup>2</sup> الان وليمز سالي وودوارد وبول دويسون، مرجع سابق، ص. 50.

عليه دوركايم، أو "الخيال الجماعي" كما أطلق عليه رايت ميلز، أو "الذات الجماعية" كما أسماها ميد.<sup>3</sup>

يلعب التعليم إذن دوراً أساسياً في إعادة تشكيل هذا العقل الاجتماعي عبر إدخال معارف وخبرات جديدة تساعد على إجراء تغييرات مفاهيمية وسلوكية تصبح جزءاً من مكونات الثقافة المجتمعية.

### التعليم التقليدي والعنف الاجتماعي:

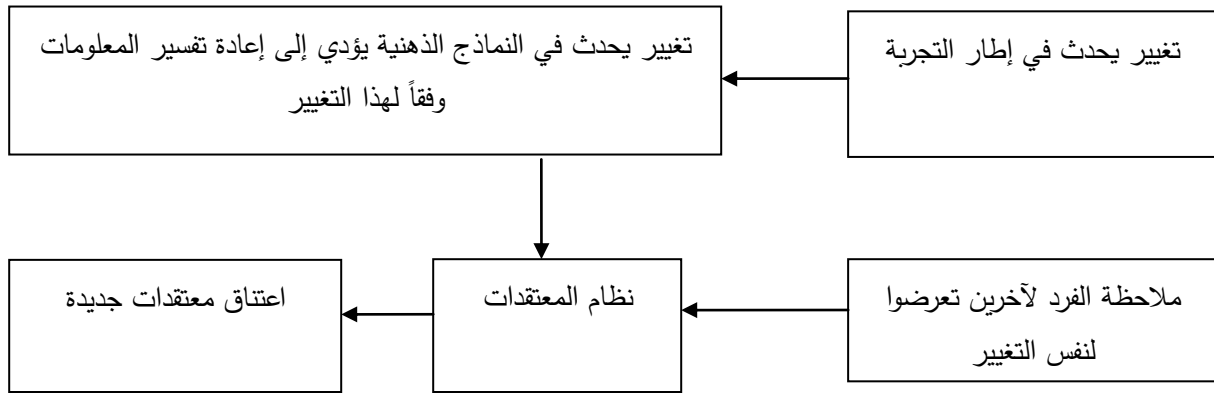
إن إصدار قرار بمنع الضرب في المدارس، أو إضافة مقرر يتحدث عن السلام، أو إدخال فقرة هنا وهناك عن مساوئ العنف، لن يكون كافياً لإصلاح التعليم وتوجيهه صوب ثقافة السلام، ذلك لأن أمر إصلاح التعليم أشد تعقيداً من ذلك. إن نمط التعليم العربي كما يوضح التقرير العربي للتنمية البشرية 2004 لا يسمح بالحوار المفتوح والتعلم النشط والتجريبي وبالتالي فإنه لا يُشجّع على حرية التفكير والنقد. ويؤكد تقرير البنك الدولي عام 2008 ذات المعنى عندما يتحدث عن حال التعليم في الدول العربية موضحاً أن مهمة الطالب الأساسية وفقاً لهذا النوع من التعليم هي نقل المعلومة من السبورة والاستماع إلى الأستاذ. في حين أن التشجيع على التفكير الإبداعي والعمل الجماعي والتعليم النشط أمر نادر الحدوث، والمعلم يُعَلِّم كل الطلاب بأسلوب واحد دون اعتبار للفروقات التعليمية بينهم.

<sup>3</sup> محمد حمد محمد، "مرتكزات الاجتماع الإنساني عند ابن عاشور"، مجلة تفكر، ع (2)، 2010، ص 83.

إن أهم ما يميز المجتمعات التي تنتشر فيها ثقافة العنف هو وجود تراتيبية اجتماعية صارمة وهيكل هرمي للتنظيم الاجتماعي يمنع من إطلاق مفهوم "المساواة الكاملة" بين الناس. قد تتخذ هذه

التراتبية شكل التفاضل الإثني أو الاقتصادي أو العائلي أو السياسي. يشرح الشكل التالي رقم ( 2 ) أثر التغيير الذي يحدث في البنية الإدراكية في مجتمع ما علي تغيير السلوك للأفراد المكونين لهذا المجتمع.

الشكل رقم 2  
إعتناق المعتقدات الجديدة



المصدر: الآن وليمز وآخرون، مرجع سابق، ص 56.

يتشكل النمط التعليمي في هذه المجتمعات وفقاً لهذه التراتيبية، فعلي الأجيال الناشئة الخضوع والانصياع التام للأوامر بدون القدرة على الجدل والمناقشة مع انحسار شبه كامل للروح الإبداعية، وانتشار المحسوبية والتفاضل على أسس غير موضوعية، والنزوع نحو استخدام العنف اللفظي أو الجسدي لإنهاء المشاكل، وكراهية نقاش أو حتى سماع الآراء المضادة، وتحويل الاختلاف في الرأي إلى خلاف شخصي، والمنافسة الأنانية القائمة على تضيق فرص الآخرين بدلاً من التعاون معهم.

هذا الوضع يخلق إضطراباً في منهجية التفكير يتمثل في سوء التنظيم الذهني للواقع. هذا ما يوضحه د. حجازي بقوله: " تقترب الذهنية المتخلفة من الواقع وتتعامل معه دون خطة مسبقة ذات مراحل منطقية واضحة سلفاً. الفوضى والعشوائية والتخبط والمحاولة شبه العمياء هي الميزة. وهكذا فبدلاً من تنظيم الواقع والسيطرة عليه تزيد من حدة ما يبدو عليه من فوضى وانعدام في التماسك... وهكذا يخرج المجتمعون بعد نقاش طويل دون تكوين تصور واضح عن المسألة وإيجاد الحلول لها. . [ويصبح هذا] هو

النمط الشائع في التصدي للحياة بقضاياها اليومية.. [وحتى] علي المستوى الجامعي يلاحظ المرء مدى الصعوبات التي تعترض الطلاب من الناحية المنهجية. هناك عجز شبه تام عن اتباع المنهج المنطقي في عرض الأمور.. بل نجد الكثير من المؤلفين الجامعيين يفتقرون الدقة والتنظيم المنهجي في كتاباتهم. إنهم يذهبون في كل اتجاه، ويتحدثون عن ما يلائم وما لا يلائم الموضوع، ويقعون في التكرار، مما يجعل كتاباتهم أقرب إلى تكديس المعلومات منها إلى تنسيقها. إن الذهن المتخلف ما زال عاجزاً عن إدخال التنظيم علي الواقع، لأنه يفترق هو ذاته إلى التنظيم والمنهجية، ويعيش في التخبط والعشوائية".<sup>1</sup> في مثل هذه الاحوال يصبح هدف التعليم إعادة إنتاج الواقع الذي يكرس الهيمنة المستبدة ويخلق ما يُعرف بالمجتمع الأحادي.

أهم ما يميز التعليم التقليدي أنه أقرب ما يكون إلي النظام "البنكي" علي حد وصف Paulo Freire، فبدلاً من حدوث حوار فعال بين الطلاب والأستاذ فإن نظام التعليم "يودع" المعلومات لدى الطالب ثم يطالبه بحفظها وإرجاعها على شكل أجوبة لأسئلة الامتحان. الناتج هو تناقص القدرة علي التفكير الإبداعي. فالمعلومات في نظام التعليم "البنكي" هبة يقدمها الأستاذ العالم لهؤلاء الذين يجهلون كل شيء. وبطريقة لا تبالي مطلقاً

بالآخر وبقدر كبير من القهر، يُسقط التعليم المعرفة باعتبارها حقلاً للبحث والتحقيق.<sup>2</sup> في دراسة مميزة، حددت اللجنة القومية لإصلاح التعليم في سيريلانكا الكثير من الأمراض الاجتماعية التي يجب علي التعليم مواجهتها إذا أرادت الدولة الإسهام في ترقية السلام الاجتماعي في سيريلانكا. وبالرغم من الفروق الكثيرة بين السودان وسيريلانكا إلا أن معظم الأمراض المذكورة موجودة بدرجة أو بأخرى في السودان. هذه الأمراض الاجتماعية هي:

- عدم التوافق الثقافي: الصراع الإثني، افتقاد القدرة علي التفاهم الثقافي للمجموعات الثقافية المتعددة، افتقاد القدرة علي التسامح، التمييز، نزوع إتجاهات سلبية تجاه الاختلاف، الإحساس بتفوق الأغلبية، العزلة، الخوف من الآخر، التطرف.
- إشكاليات تتعلق بالقدرة علي التواصل: عدم القدرة علي الاستماع للآخر، عدم القدرة علي التعامل مع المشاكل بذهن مفتوح، عدم القدرة علي التواصل مع الآخر، عدم القدرة علي استخدام لغة الآخر مما يخلق إحساساً بانقطاع التواصل أو عدم الثقة.
- حقوق الإنسان: افتقار الرغبة في حماية حقوق الآخرين، ضعف المعلومات المتعلقة

<sup>2</sup>. Paulo Freire, Translated by Mayra Bergman. Pedagogy of the Oppressed, New York: Continuum International Publishing Group Inc, 30<sup>th</sup> edition, 2000, P. 72.

<sup>1</sup> مصطفى حجازي، التخلف الاجتماعي: مدخل إلي سيكولوجية الإنسان المقهور (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2007)، ط10، ص 61-63.

بحقوق الانسان وحقوق الطفل وميل لعدم احترامها.

- زيادة السلوك العنيف: انتشار ثقافة العنف، التعامل مع العنف باعتباره أمراً عادياً.
- عدم القدرة علي مشاركة الموارد مع الآخرين أو مساعدتهم، توزيع غير متساو للقوة والموارد، الأنانية.
- عدم الثقة في نوايا الآخر وانتشار عدم الثقة بين الإثنيات المختلفة.
- التردد في اتباع القواعد والأوامر، الفوضي، عدم احترام القانون.<sup>1</sup>

#### التعليم من أجل السلام الاجتماعي:

إن الحلول السطحية في النظام التعليمي لن تجدي في تغيير الواقع المعاش في الدول التي تعاني من التمزقات الاجتماعية، بل هناك حوجة ماسة إلى إصلاحات جذرية لتعلم كيفية العيش بسلام مع الآخر. يُعبّر عن ذلك أحد الباحثين قائلاً: " إن تعلم العمل في إطار من التعقيد يتطلب منا ما هو أكثر من تغيير ما نفعله وسوف يتطلب أيضاً تحولاً في العقلية... يجب أن نتعلم بطريقة ما كيف نتعايش مع اتجاهات عقلية وأساليب جديدة إذا كنا نريد الاهتمام إلى طريقنا إلى مستقبل يحقق الخير للجميع".<sup>2</sup>

في سياق حديثه عن التحديات التي يمكن أن تواجه التعليم المستقبلي في السودان، يعدّد أحد الباحثين التغييرات التي ستشكل العالم في المستقبل لتشمل: نمط متسارع من التغيير، يصاحبه تقدم مذهل في العلوم والتقانة مع زيادة وتيرة الاندماج الاقتصادي على المستوى العالمي. لذا فإن هذه التغييرات سوف تفرض نفسها وتشكّل نمط التطور المستقبلي للدول.<sup>3</sup> ومن المنتظر أن يلعب التعليم دوراً أساسياً في تحديد موقع الدولة في خارطة العالم المتحضر. فما هو واقع التعليم في السودان اليوم؟

تلعب القدرات التقنية التي تمتلكها الدولة دوراً أساسياً في قدرتها على التقدم الإقتصادي. في 2001، طوّر صندوق الأمم المتحدة للتنمية UNDP مؤشر الإنجاز التقني TAI. إستخدم الباحثان (2002) Archibugi and Coco هذا المؤشر كأساس لدراسة 162 دولة حول العالم، وكانت النتيجة أن حصل السودان علي مؤشر 0.140 ليحتل المرتبة رقم 129، وهو بذلك يقع في التصنيف الأخير : الدول التي ليست لديها القدرة وفق المعطيات الحالية للوصول إلى تصنيع التقانة الحديثة. تؤكد هذه الدراسة دراسة أخرى قام بها مجموعة من الباحثين (Wagner et al. 2000) لتصنيف 150 دولة من حيث إمكانية الدول للتطور العلمي، وكانت النتيجة أن حاز

<sup>1</sup> . Social Cohesion and Peace Education Unit, Ministry of Education, National Policy and a Comprehensive Framework of action, Sri Lanka, 2008.

<sup>2</sup> . عبدالرحمن توفيق، الإدارة بالمعرفة: تغيير ما لا يمكن تغييره (القاهرة: مركز الخبرات المهنية للإدارة، 2007)، ط2، ص. 56.

<sup>3</sup> Mohamed El Amin Ahmed El Tom, Higher Education in Sudan: Towards a New Vision For a New Era, Sudan Currency Printing Press, 2006, pp. 3-4.



السودان علي مؤشر 0.4 مما يعني وقوعه ضمن الفئة الأخيرة وهي الدول المتأخرة علمياً.<sup>1</sup> إذن التغيير في نظام التعليم في السودان واجب مُلح. لكن ما فحوي وطبيعتها هذه التغييرات المطلوبة؟

### أولاً: تغيير أسلوب التعليم

يجب أن يتم تصميم إصلاحات النظام التعليمي الجديد بحيث يؤدي إلى إنتاج مواطنين يُقدّرون أنفسهم وأوطانهم ومجتمعاتهم.

لكي نصل إلى هذا المستوي يجب أن تتحول المعلومات والمعارف إلى سلوك فعلي وليس مجرد كلمات وجمل محفوظة عن ظهر غيب. هذه الحالة لا يمكن الوصول إليها إلا إذا حدث اندماج بين الطالب والمعلومة المُقدمة. فالمعلم يمكن أن ينقل المعلومة فقط، لكن عملية التعلم لا تحدث إلا من خلال المشاركة في إنتاج المعرفة.

إن تصميم المناهج بحيث يصبح الطالب جزءاً من العملية التعليمية، بدلاً من أن يكون مجرد متلق سلبي للمعلومة، يجعل المعلومة جزءاً من معارف المرء التي تتحول فيما بعد إلى سلوك. "وفي حين أن المران المتكرر "الروتيني" في تعلم العلوم قد يكون عديم الجدوي، فإن التركيز علي حل مشكلات المواقف الحياتية بطريقة عملية يجعل المتعلم يشعر بمتعة التعلم بدرجة كبيرة. ومعنى هذا أن التعلم القائم على المشاركة له أهمية كبيرة

وأن الطريقة التي يتم بها التعلم أهم كثيراً من محتوى التعليم والتعلم ذاته.<sup>2</sup> إن مجرد تلقي معلومات في الفصل عن تقبل وجود الآخر والتعامل السلمي عند حدوث اختلاف لا يحوّل تلك المعارف إلى سلوك وبناء قيمي. لذا فإن هناك حاجة ماسة إلي خلق ذهنية تستطيع أن تفكر بشكل إستراتيجي وتأملي مستندة في ذات الوقت إلى مجموعة من القيم المراد غرسها في المجتمع. فهذا النمط من التدريب هو الوحيد القادر على خلق تفكير مُنتج وفعال وقادر علي حل المشكلات بشكل عقلاني سليم.<sup>3</sup> إن نمط التعليم التشاركي يخلق فكراً جديداً ، لا يزيد فقط في ثقة الطالب بنفسه ، بل يعلمه القدرة علي التعامل والتعاون مع الآخر واكتساب روح الفريق، بدلاً من تعلم روح المنافسة وإزاحة الآخر في لعبة التعليم الصفيرية (educational Zero-sum Game) . إضافة الي ذلك يتعلم الطالب القدرة علي النظر للامور بعدسة كبيرة وشاملة، باعتبار أن العلوم متكاملة وليست يوضح الجدول التالي الفرق بين التفكير الجديد المتولد عن نمط التعلم التشاركي والتفكير التقليدي الموروث من نمط التعلم التقليدي.

<sup>2</sup> مصطفى ناصف، مرجع سابق، ص. 54.

<sup>3</sup> انظر إلى النموذج المتكامل لفهم العلاقة بين التفكير والتعلم في : جابر عبد الحميد جابر، أطر التفكير ونظرياته: دليل للتدريس والتعلم والبحث، عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط2، 2010، ص. 347.

<sup>1</sup> Ibid., pp. 17-19

### الشكل رقم 3

#### الفرق بين التفكير التقليدي والتفكير الجديد

التفكير الجديد	التفكير التقليدي	الإفتراض
الرؤية من منظور الكل	التقسيم إلى أجزاء	نحن نفهم عن طريق
لا متناهية ولا محدودة	قابلية المعرفة في النهاية	المعلومات
الإبداع الذاتي	قوة ومؤثرات خارجية	الدافعية نابغة من
جماعية	فردية	المعرفة
التعاون	المنافسة	تزدهر الحياة ب
كل ما هناك	شئ يستحق القلق بشأنه	التغيير هو

المصدر: عبدالرحمن توفيق، الإدارة بالمعرفة، القاهرة 2007 ص20.

## ثانياً: تغيير نوعية التعليم

إصلاح التعليم لا يعني فقط تغيير أسلوب التعليم، بل أيضاً تغيير نوعية التعليم المقدم للطلاب. ففي ظل العولمة يجب أن يخلق التعليم لدى الطالب مستوى عال من القدرة التنافسية على المستويين المحلي والعالمي. إن التوسع في التعليم خاصة في المناطق المهمشة، كما حدث في السودان منذ بدء ثورة التعليم العالي، ليس كافياً لإزالة الغبن الاجتماعي. بل على العكس من ذلك فقد يولد ذلك المزيد من الغبن والاحتقان، ذلك لأن التعليم يزيد من توقعات الأجيال في حياة أفضل، فإذا صاحب تلك التوقعات تدن في نوعية التعليم المقدم فإن الخريج سيجد نفسه في نهاية الأمر ينتظر في طابور العطالة. لذا يجب ربط التعليم بسوق العمل. ولن يتأتى ذلك إلا بتكامل التخطيط التعليمي مع التخطيط الإقتصادي بشقيه العام والخاص. وبحسب ( Ted Gurr, 1974 ) فإن زيادة التوقعات مع تدني الواقع المعاش يكون سبباً في الإحباط، الذي يتضامن وبعض العوامل الأخرى يمكن أن يتحول إلى عنف سياسي.<sup>19</sup>

إن فشل الدولة في توفير فرص عمل للمتعلمين يسبب بدون أدنى شك الكثير من الإحباط خاصة للشباب منهم. ويمكن ان يؤدي ذلك إلى تدهور شعورهم بالانتماء القومي. ويمكن أن يجبرهم على طرح سؤال: ما الذي أعطانيه لي الوطن وما الذي يمكن أن يعطيني في المستقبل؟ ما معني المواطنة؟ هؤلاء المحبطون يمكن أن يكونوا طُعماً للمتمردين، لذا فمن المعقول القول بأن التوقعات التي تنتج عن التعليم إذا لم تصاحبها طفرة اقتصادية ستلعب دوراً سياسياً سالباً بدلاً عن التسبب في تنمية الدولة.<sup>20</sup>

## ثالثاً: لغة التعليم

يساعد استخدام لغة وطنية موحدة في التعليم علي الشعور بالانتماء إلى هوية وثقافة مشتركة، لكن علي الجانب الآخر فإن إهمال اللغات المحلية تماماً خاصة في المراحل الاولي من التعليم، كما هو حادث في السودان، يساعد في الإحساس بالتهميش بل يسهم فعلاً في التهميش إذا كانت اللغة المفروضة في التعليم تختلف عن اللغة الأم للطفل . إن التوازن بين إعطاء القوميات حقوقها في استخدام لغاتها في التعليم وبين إيجاد لغة قومية مشتركة جزء مهم من إجراءات إصلاح التعليم نحو السلام الاجتماعي. كذلك تجربة إدماج الطلاب في مدارس قومية كتلك التي كانت في السودان قبل

<sup>19</sup> للمزيد حول هذا الموضوع يمكنك مراجعة:

Ted Robert Gurr, Why Men Rebel? (Princeton: Princeton University Press, 1974), 4<sup>th</sup> edition.

<sup>20</sup> Wondem Asres Degu. op.cit.. p. 141.

حكم الإنقاذ كمدارس خور طقت وحتوب وغيرها، يعين على إزالة الإحساس بالغبرة وقلة الثقة في التعامل مع الاختلاف الإثني.

إن تجربة السودان في خصخصة التعليم يمكن أن تقود إلى هدم النسيج الاجتماعي لعدد من الأسباب الموضوعية التالية:

- سياسة الخصخصة تقضي على مفهوم الفرص المتساوية، فمن يملك أكثر يمكنه أن ينافس في أرقى المدارس والجامعات، ومن لا يملك لا يحق له ذلك.
- شجعت سياسة التعليم قبل الجامعي في السودان علي فتح مدارس "طبقة الأثرياء فقط" يتم فيها التدريس باللغة الإنجليزية البحتة مع تدني الإهتمام باللغة العربية والدين. ويتضح من نواتج هذه السياسة فتح الباب لتغريب "westernization" المواطنين، فهم يتحدثون ويلبسون ويتعاملون ويعيشون وفقاً لقيم الغرب. في المقابل فإن اللغة الإنجليزية قد تدهورت في المدارس القومية، مما يشل قدرة هؤلاء الطلاب التنافسية ويفرض عليهم سياج من المحلية القاتل لكل طموح.

#### رابعاً: البيئة التعليمية

إن البيئة الدراسية في السودان تجعل الكل متوجهاً نحو، ما أسماها أحد الباحثين، ثقافة "نيل الشهادة". فالبيئة التجارية للتعليم والتدريس خلقت وضعاً أصبح فيه الآباء والمعلمون والطلاب والدولة، كلهم ينظرون للشهادة باعتبارها الهدف الرئيسي من التعليم.<sup>21</sup> يجب أن يشمل الإصلاح التعليمي البيئة التعليمية ككل ، والتي يجب أن تشجع علي إخلاقيات السلام والتعاون، وأن يتحول مفهوم المنافسة من منافسة فردية إلي منافسة جماعية، بغرض إضعاف روح الأنانية وروح الفردية، مع التركيز أيضاً علي الأنشطة خارج المقررات الرسمية التي تشجع علي وروح التعاون والثقة المتبادلة بين الطلاب. إن تشجيع حرية التعبير وإستقلالية العمل الأكاديمي يلعب دوره أيضاً في إصلاح البيئة التعليمية حتي تغدو المؤسسات العلمية، خاصة الجامعات، الضمير الحي للمجتمع.

#### خامساً: رفع قدرات المعلمين

تلعب قدرات الاستاذ العلمية وسلوكه القولي والفعلي ومهاراته وقيمه دوراً مهماً في تحديد نوعية التعليم المقدم للطلاب. في دولة تتعدد فيها الإثنيات والثقافات كالسودان فإن المعلم يجب أن يتم تدريبه علي قيم وسلوكيات التسامح وإحترام التنوع الديني والعرقي والثقافي، إحترام حقوق الإنسان

<sup>21</sup> Mohamed E. El Tom, op.cit., P. 57.

وتشجيع السلام. للوصول الي هذا الهدف يجب أن يخضع المعلمون للتدريب في مجالات التعليم لذوي الثقافات المتنوعة، الاخلاقيات، حقوق الإنسان، حقوق الطفل وأساليب التعليم التفاعلي.<sup>22</sup>

إن التدريب المستمر للمعلمين والاساتذة في المراحل الدراسية المختلفة جزء مهم من التغيير المنشود. إن مصيبة المصائب أن يصبح التعليم هو عمل من لاعمل له، مما أدى الى تدني قيمة الأستاذ لدى الدولة ولدى الطلاب على السواء.

### التخطيط التعليمي كجزء من خطة إستراتيجية قومية شاملة

من الصعوبة بمكان، إن لم يكن من المستحيل، تنفيذ خطة إصلاحية جذرية موجهة نحو السلام الاجتماعي ما لم تكن جزء من خطة إستراتيجية قومية شاملة ذات رؤية تشجع وتقود وتبصر بأهمية تلك الإصلاحات.

تنبعث أهمية وجود إستراتيجية للتربية والتعليم كجزء من الإستراتيجية الشاملة من كونها المفتاح الوحيد الذي سيمكن الدولة من "تأهيل وتوفير الموارد البشرية المطلوبة كماً وكيفاً وتوقيتاً ومكاناً، المطلوبة لتحقيق المصالح الوطنية وذلك من خلال إحداث التنمية العقلية والنفسية والأخلاقية للأفراد، بما في ذلك توفير القوى البشرية بالمستوى العالمي، أكاديمياً وفنياً وتقنياً وتشكيل السلوك الوطني والسلوك المهني وتعزيز الانتماء للوطن وبناء السلوك الشخصي القويم وصبغه بالقيم الفاضلة من صدق وأمانة والتزام وإحترام وإتقان للعمل وإحترام لقيمة الزمن ، وتأسيس الشراكة بين مؤسسات التربية والتعليم والتدريب ومؤسسات الدولة".<sup>23</sup>

إن عملية إكتشاف نقاط الضعف في النظام التعليمي وتقادي تكراره في النظام التعليمي لأي دولة يجب أن يعتمد علي إعادة تعريف واضحة ودقيقة لأهداف الدولة السياسية والإقتصادية والإجتماعية والثقافية غير المختلف حولها من قبل المجموعات المختلفة المكونة للدولة...كما يجب التركيز علي تطوير حالة فكرية لدى اليافعين ترتضي وتتقبل التنوع باعتباره مصدر قوة مستقبلية، الأمر الذي يساعد علي زرع وعي قومي عميق وفخر بالانتماء الى الوطن. بشكل عام، يجب أن يتم تصميم الإصلاح التعليمي لخلق أناس قادرين علي التفكير والتصرف كمواطنين متساوين في الدولة.<sup>24</sup>

**خاتمة:**

<sup>22</sup>Quoted from (Mohamedbhai,2003), in Mohamed E. El Tom, Ibid., p.93.

<sup>23</sup> محمد حسين أبو صالح، التخطيط الإستراتيجي القومي (الخرطوم: شركة مطابع العملة السودانية، 2012)، ط7، ص. 434.

<sup>24</sup> Wondem Asres Degu. op.cit., p. 141.

لا يمكن تقادي الحروب الأهلية والعنف الاجتماعي في دولة عانت من تمزقات عميقة في نسيجها الاجتماعي كالسودان دون النظر بجدية إلى أمر إصلاح التعليم كجزء من خطة قومية شاملة تستهدف تحقيق مصالح البلاد وتطورها على كل المستويات.

#### التوصيات:

- تحديث وإصلاح النظام التعليمي نوعاً وكيفاً بإدخال أساليب التعلم النشط والتفاعلي وزيادة قدرة الطلاب التنافسية والعلمية والتقنية.
- التركيز علي ربط التعليم بالسوق عبر تخطيط تعليمي واقتصادي متكامل ضمن إستراتيجية قومية شاملة.

#### قائمة المراجع:

- أسماء حسين محمد آدم . "أسواق العنف: إطار تحليلي للصراعات السياسية المعاصرة: الكونغو الديمقراطية أنموذجاً". دراسات إفريقية. ع 44. ديسمبر 2010.
- الآن وليمز، سالي وودوارد وبول دويسون، ترجمة سرور علي إبراهيم، إدارة التغيير بنجاح: استخدام النظرية والخبرة في تنفيذ التغيير، الرياض: دار المريخ للنشر، 2004.
- جابر عبد الحميد جابر، أطر التفكير ونظرياته: دليل للتدريس والتعلم والبحث، عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط2.
- عبد الرحمن توفيق، الإدارة بالمعرفة: تغيير ما لا يمكن تغييره (القاهرة: مركز الخبرات المهنية للإدارة، ط 2 ، 2007).
- محمد حسين أبو صالح، التخطيط الإستراتيجي القومي (الخرطوم: شركة مطابع العملة السودانية، 2012)، ط7.
- محمد حمد محمد، "مركزات الإجتماع الإنساني عند ابن عاشور"، مجلة تفكر، ع (2)، 2010.
- مصطفى حجازي، التخلّف الاجتماعي: مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2007)، ط10.
- مصطفى ناصف، نظريات التعلم: دراسة مقارنة (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون، أكتوبر 1983)، سلسلة كتب عالم المعرفة، ع 70.
- ياسر أبو حسن أبو. "المنهج الإسلامي في ترسيخ السلام الاجتماعي: رؤية تأصيلية في التعايش السلمي من منظور سياسي"، دراسات مجتمعية. ع8، ديسمبر 2011.

- Johan Galtung, Peace: Research and Education Action. International Peace Research. Copenhagen. Christian Ejlars.
- Jervis, R. Perception and Misperceptions in International Politics. Princeton N. J.: Princeton University Press, 1976.
- Mohamed El Amin Ahmed El Tom, Higher Education in Sudan: Towards a New Vision for a New Era, Sudan Currency Printing Press, 2006.
- Nisbett. R. and Ross. L. Human Inference: Strategies and Shortcomings of Social Judgments. Englewood Cliffs. N.J: Prentice-Hall. 1980.
- Paulo Freire. Translated by Mayra Bergman. Pedagogy of the Oppressed. New York:
- Continuum International Publishing Group Inc, 30<sup>th</sup> edition, 2000.
- Social Cohesion and Peace Education Unit. Ministry of Education. National Policy and a Comprehensive Framework of action. Sri Lanka. 2008.
- [www.moe.gov.lk/web/images/stories/publication/peace\\_policy.pdf](http://www.moe.gov.lk/web/images/stories/publication/peace_policy.pdf)
- Ted Robert Gurr. Why Men Rebel ,Princeton: Princeton University Press. 1974. 4<sup>th</sup> edition.
- Wondem Asres Degu. Reforming Education, In Gerd Junne and Willemijin Verkoren. Post Conflict Development: Meeting New Challenges. Lynne Rienner Publishers. Inc, 2005.

